الله ذلك السرير وقال له استقم انت نستقم معك وقال تعالى
ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم الاية ويحكى
عن هرمز الملك انه قال لوزيره على ملا على ساحل البحر فكتب
عليه ذات يوم انه قد ورد علينا بعض تجار وصحبتهم اللولو
والياقوت والجوهر النفيس وقد انتبعت منهم الخزانة الشريفه
ما يساوي مائة الف دينار والان خذ فلان ابن فلان التاجر
بطلب تلك الجواهر بر بح عظيم فان رغب مولانا في ذلك كان والا
فليرسم لنا بما يريد فكتب اليه في جوابه يقول ان المائة الف
دينار وامثالها وامثال امثالها ليس لها عندنا خطر واذا عملنا
نحن التجاره فمن يعمل الامارة فانظر لنفسك ايها الجاهل ولا تعد
لمثل هذا الكلام ولا تخالط اموالنا بشيء من اموال التجار فان ذلك
مما يزري بقيمة الملك عند الرعية ويعود عليه بفساد مملكته
والازدراء به في حال حياته وبعد مماته والسلام ويحكى عن
يحيى بن خالد انه خرج ذات يوم من دار الخلافة فراى رجلان
عند بابه فنهض اليه قايما وسلم عليه ثم قال له يا يحيى اني محتاج
لبعض ما في يدك وقد جعلت الله وسيلتي اليك فامر بان يفرد
له موضع في داره واجرى له في كل يوم من خاصة طعامه وان
يحمل اليه في كل يوم الف درهم فاقام الرجل على ذلك الحكم مدة
شهر ثم انصرف من غير علم يحيى فلما علم بانصرافه قال والله
لو اقام عندنا مدة عمره ما قطعت عنه صلتي وقد قيل شعر

بذلت وقتا للطلب كسلا ... القى بني الملوك بالسؤال

وكان

وكان وجه الصواب في ان اصون نفسي عن ابتذال
لابد للجسم من قوام فخزه من جانب اعتزال
واقرب من العز في اتضاع واهرب من الذل في المعالي
ويروى عنه عليه السلام انه قال من قلد انسانا في عيبته
من هو اصلح منه فقد خان الله ورسوله وجماعة المسلمين
ومن طلب القضا فقد وكل الى نفسه ومن اجير عليه نزل عليه
ملك يسدده فان من طلبه فقد اعتمد فقهه وورعه وذكا
فقد حرم التوفيق ومن اكره عليه فقد اعتصم بحبل الله حيث
انه اكره على ما لا يحبه ولا يرضاه فيلهم الرشد والتوفيق
ومن جعل على القضا فقد ذبح نفسه بغير سكين ويحكى
عن ابي حنيفة انه دعي الى القضا ثلاث مرات وهو يمتنع ويضرب
في كل مرة ثلاثين سوطا وفي المرة الثالثة قال حتى اساور نفسي
واستشير اصحابي فاستشار ابا يوسف فقال له لو تقلدت القضا
لانتفعت بك الناس فنظر اليه نظرة مغضب وقال له ارايت
لو امرت ان اعبر البحر سباحة لكنت افدر عليه ويحكى عن
القاضي بكار انه كان امة في العلم والورع والزهد والفضل
وكان مقيما بالبصرة فبلغ المتوكل ما هو عليه من الخير فارسل
اليه كتابا باستقلاد القضا على يد قاصد فلما وصل اليه وجده
قد مضى الى الفرن يجبز الخبز فتعجب منه وانتظره حتى اتاه فاذا هو
وهو حامل للخبز ثم قام اليه وقبل يديه واراد ان يدفع له
كتاب الخليفة فقال له اصبر فانه ليس معي اذن في الوقوف معك

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)